حلقة العَزّابة
ودورها في بناء المجتمع المسجديّ
مجلس (تِمْسِرِيدِينْ) النساء نموذجًا

الأستاذة : دليلة خبزي كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 1

مقدمة

يتناول هذا البحث دراسةً موجزةً حول نظام حلقة العزابة بصفة عامّة ومجلس النساء الذي يُدعى "تِمْسِرِيدِينْ" بصفة خاصة؛ وهو تنظيم محكم لإمامة مصغرة، فإن الدارس عندما يعود إلى نظام الإمامة في الدولة الرستمية في مجالاتها الحيوية يمكنه أن يلمس بعد زيارة ميدانية لوادي مْزاب كيف يتجسد هذا النظام في المجتمع المْزابي تحت إدارة حلقة العزابة.

وبما أن نظام الحلقة لم يعد مطبقا في جميع أماكن وجود إباضية المغرب؛ مثل جبل نفوسة بليبيا أو جربة بتونس فإننا نقتصر على المجتمع المْزابي أو بتعبير دقيق على إباضية وادي مْزاب بجنوب الجزائر.

بعد انقراض الدولة الرستمية سنة 296هـ على يد الفاطميين هاجر بقية رعاياها إلى الجنوب الجزائر، وبالتحديد إلى وارجلان ونواحيها وأمام ملاحقة الأعداء رأى علماء الإباضية وأصحاب الرأي فيهم أن يضعوا نظاما يحفظ جامعتهم من التمزق، ومذهبهم من الاندثار ويبقى صامدا أمام محاولات التذويب والإغارة، في دائرة الدين الإسلامي وكرامة الإنسان فاهتدوا إلى تأسيس هذا النظام البديع الذي يخلف الإمامة، وأطلقوا عليه اسم حلقة العزّابة.

ما مفهوم نظام حلقة العزابة؟ وما هي مهامه؟ ولماذا وكيف نشأ؟ وما هي أبعاده الحضارية على المجتمع؟

يسعى البحث للإجابة عن هذه التساؤلات من خلال مباحثه الثلاثة الآتية:

المبحث الأول: نشأة حلقة العزابة وأصل تسميتها

المبحث الثاني: أعضاء حلقة العزابة ومهامّها

المبحث الثالث: مجلس النساء تِمْسِرِيدِينْ

المبحث الأول
نشأة حلقة العزابة وأصل تسميتها

المطلب الأول: نشأتها

بعد انقراض الدولة الرستمية، أحسَّ الإباضية بضعفهم وعجزهم عن إقامة دولة لهم. لذلك فكر شيوخهم في ضرورة إيجاد نظام يحلُّ محلَّ الإمامة أو الدولة للحفاظ على كيانهم ومذهبهم. فكان النظام الذي ابتكره شيوخ الإباضية وهو نظام العزابة بمثابة "السلطان العادل في العدل سواء"[1].

وكان الذي وضع أسسه أحد علماء الإباضية الأفذاذ أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي[2] سنة 409هـ.

---

(1) الجعبيري، نظام العزَّابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المطبعة العصرية، تونس،1975، ص25

(2) محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي (أبو عبد الله) (و: 345هـ / 956م - ت: 440هـ / 1049م) أحد أقطاب الإباضيَّة في المغرب، ومن أبرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين.

ولد بمدينة فرسطاء بجبل نفوسة، شرقي مدينة كَبَاو، من مديرية الحرابة التابعة للالوت؛ و لم تحدِّد كتب السير تاريخ ميلاده.

إلاَّ أنَّ علي يحيى معمَّر وسالم بن يعقوب يحدِّدان تاريخ ميلاده بسنة 345هـ، وهو الراجح.

- تعلُّمه: أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه فرسطاء، ثمَّ تنقَّل بين عدَّة مدن للاستزاده من الفنون على يد أكابر العلماء في زمانه: القيروان، وجربة، والحامة. سافر بعدها إلى قصطيلية بحثا عن الشيخ أبي عمران موسى بن زكرياء، ليأخذ عنه الفقه والفروع، إلاَّ أنَّ وفدا من جربة اضطرُّوه إلى التحوُّل من مرحلة التعلُّم إلى مرحلة التعليم وتأسيس حلقة العزَّابة.

تميز أبو عبد الله بتأسيسه لنظام هو الآية بين النظم الاجتماعية القديمة والحديثة.

- تآليفه: ذكرت كتب السير بأنَّ لأبي عبد الله «في كلِّ فنٍّ تآليف كثيرة»، غير أنهم لم يوردوا لنا ولو عنوانا واحدا من كتبه، والناظر في التراث الإباضي من كتب السير والفقه والعقيدة، يجدها تعجُّ بآرائه وحكمه؛ ومن ثمَّ يتضح لنا أنَّ أبا عبد الله لم يؤلِّف كتبا لقصد التأليف، وإنما جمع له تلامذته فتاويه وحكمه وأخذها عنهم المؤلِّفون لتعرف فيما بعد بتآليف أبي عبد الله.

والذي يتضح من خلال كتب سير الإباضية لاسيما ما ورد عند أبي زكريا الوارجلاني –وهو يتحدث عن سيرة أبي عبد الله منشئ الحلقة أن الأسباب الدافعة إلى هذا النظام كانت في بداية أمرها رغبة الجماعة الإباضية في الحفاظ على مذهبهم الذي تعرض لملاحقة العبيديين، وتفرق المعتنقين للمذهب، لتفشى الجهل وتشتت العلماء والمشايخ، فألحوا على أبي عبد الله أن يعقد لهم الحلقة بعد أن توسموا فيه الكفاءة العلمية والمقدرة التنظيمية لذلك فأبى لهم من ذلك وامتنع، فمكثوا يراودونه ما شاء الله فأبى عليهم حتى كادوا أن ييأسوا منه وبعد تفكير دام شهوراً قبل منهم ذلك بعد أن اشترط شروطاً[1].

إن الذي يبدو من هذا الخبر أن أبا عبد الله ما كان ليقابل طلب الجماعة بالتردد والرفض إلا لما يعرفه من المسؤولية العظيمة التي ستلقى عليه.

وبعدما استقر المقام بأبي عبد الله في وادي أريغ بقرية "تنسلي"[2] أمر أن يهيأ له غار يجتمع فيه التلاميذ للحلقة والدراسة[3].

وكان نظام حلقة أبي عبد الله حلقة علم متنقلة فهي حيناً في وادي أريغ وحينا في وارجلان وأحيانا في بادية بني مصعب (مزاب)، وقد تنقل إلى الحامة (بالجريد

– وفاته: أجمعت المصادر على أنّ وفاة الشيخ كانت سنة (440هـ/1049م)، وقبره في مقبرة قدّام غاره بآجلو. أنظر: جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية، نشر جمعية التراث، القرارة غرداية الجزائر،1999م ج4، ص772.

(1) أبو زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، حققه ووضع هوامشه إسماعيل العربي، الطبعة الثانية 1402هـ/1982م، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص174، 175.

(2) تينسلي تقع قرب مدينة توقرت. وتعرف اليوم ببلدة أعمر.

(3) الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه إبراهيم طَلاَيُ، دون تاريخ الطبع والطبعة، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر.، ج1، ص170.

التونسي) وتدل أخباره التي نقلها أبو زكريا أنها كانت مجالس مـــذاكرة، وعلـــم، واستفتاء، وعبادة، و لم تكن مستقرة بمكان معين.

وتبدو عبقرية أبي عبد الله واضحة في تنظيمه الدقيق الذي وضعه للحلقة، وهـــو أمر لم يسبق إليه من قبل، وإنما كانت الحلقات فيما يبدو لا تخضع لمثل هذا النظام المحكم الدقيق الذي تروي تفاصيله كتب السير[1].

يلاحظ الدارس أن النظام كان علمياً ودينياً بحتًا ثم تطور ولا سيما في المجتمـــع المْزابي ليصبح نظاما متكاملا يهتم بكل نواحي الحياة الفرديـــة والجماعيـــة. دينـــاً واجتماعاً واقتصاداً وسياسة.

المطلب الثاني: أصل تسمية حلقة العزابة

أولا: تعريف العزّابة

أ/ تعريفها لغة: اشتقت كلمة العزابة من العزوب وهي الغيبة يعزُب ويَعـــزِب، والذهاب والعزيب الرُّجل يعزب عن أهله وماله، ومن الإبل التي تَعزب عن أهلـــها في المرعى وإبل عزيب لا تروح على الحي[2].

والعزابة جمع (عزاب) بفتح العين مأخوذة من عزب عن أهله انفرد عنهم، تعـــني العزلة، والغربة، والتصوف، والتهجد، سموا بذلك لانقطـــاعهم إلى الله بالاشـــتغال بأمر دينه، والانقطاع إلى خدمة المصلحة العامة،[3].

(1) البرادي أبو القاسم بن إبراهيم ، الجواهر، طبعة حجرية طبع على ذمة ملتزمه محمد بن يوسف البـــارون وشريكه الحاج سليمان بن مسعود المجدلي، ص 287.

(2) مجدلدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، طبع ونشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصـــر، الطبعة الثانية 1371هـــ/1952م، ج1، ص 108.

3 علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الناشر، المكتبة وهبة، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الأولى 1384هـ/1964م الحلقة الأولى، ص 97.

ويذهب روبانسكي وهو أب مسيحي إيطالي إلى أن الكلمة جاءت من كلمة العزوبة أي ترك الزواج. محاولا الربط بين نظام الحلقة والرهبانية المسيحية[1].

لكن هذا غير صحيح لأن من شروط العضوية في الحلقة الزواج لأنه يحصن النفس.

كما يطلق على هذا النظام اسم "الحلقة". ويعني مجلس العزّابة، لأن العزّابة عندما يجتمعون يجلسون على هيئة حلقة أو دائرة، ويعني في نفس الوقت "حلقة العلم".

ب/ تعريفها اصطلاحا

نظام العزَّابة، وحلقة العزَّابة، وهيئة العزَّابة، ومجلس العزَّابة، كلها مصطلحات تستعمل في المراجع مترادفات، وهي في أصلها تمثل مراحل تطور النظام.

نظام العزّابة: هيئة تقوم مقام إمامة الظهور في مسلك الكتمان عند إباضية المغرب[2].

وهي الهيئة العليا الدينية في البلد، كما هي في البلاد الإباضية (جميع المجتمعات الإباضية بالمغرب) ولها نفوذ روحي واسع النطاق على العامة، ولها السلطة المطلقة في كل ما له علاقة بالدين، وكذلك السلطة على الحياة الاجتماعية والتربوية.

تعود بداية استعمال هذا المصطلح إلى أيام أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، حينما أسّس الحلقة ورتّب قوانينها في القرن 5هـ/11م،[3] ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا في الجزائر.

---

(1) الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، ص4 . ومحمد ناصر، حلقة العزابة، ط 1410هـ/ 1989م، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عُمان، ص11 و12.

(2) مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، الطبعة الأولى 1429ه/2008م وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ج2، ص702.

(3) أبو زكريا يحي بن أبي زكريا، سير الأئمة ص265.

واندثر هذا النظام في كلّ من جبل نفوسة بليبيا وجربة بتونس وغيرها من بـــلاد المغرب، ولكنه لا يزال قائما في وادي مزاب ووارجلان بالجزائر إلى يومنا هذا، مع تطور في الشروط والمهام والعدد[1].

المبحث الثاني:
أعضاء حلقة العزابة ومهامّها

حلقة العزّابة من أهم وأعلى وأشهر الهيئات الدينية والسياسية في جميع المجتمعات الإباضية بالمغرب، والمكونون لهذه الحلقة يعرفون في أوساط العامة من المـــزابيين في الجزائر باسم: إِعَزَّابَنْ، والواحد منهم يسمى: أَعَزَّابْ، وهم يمثلون العلماء والأئمـــة وأهل الرأي والمشورة من الأمة، وتقوم الحلقة بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع المزابي الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

المطلب الأول: أعضاء مجلس العزابة

يتكون مجلس العزابة من اثني عشر عضوا، يختارون من جميع العشائر، ويتحـــرى في اختيارهم العلم، والصلاح والورع. ويصطفى منهم أبلغهم درجة فيها. وللعزابة لباس خاص وموحّد.

يقول البرادي في الجواهر المنتقاة وهو من مؤرخي القرن التاسع الهجري حيـــث يصف الشروط التي ينبغي أن تتوفر في العزابي الذي يلتحق بالحلقة:"... ومنـــها ألا يلبس ثوباً مصبوغاً إلا البياض ولا بأس بعلم الطرفين والطراز مالم يتفاحشـــا"[2]. وهم بحسب وظائفهم:

(1) البرادي، الجواهر، ص 207.

(2) مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص703.

- شيخ الحلقة: يقوم بالوعظ والتذكير ويعلن الولاية[1] والبراءة[2].
- إمام الصلاة يؤم الجماعة ويشرف على عقود الزواج في المسجد.
- مؤذن للصلاة وينوب الإمام عند غيابه.
- وكيلا المسجد يشرفان على أملاك المسجد وأوقافه.
- مقرئو المحاضر يشرفون على المحاضر(لَفْقي).
- الغسَّالون (إمْسيريدَنْ) يتولّون غسل الموتى وتكفينهم ودفنهم.
- قاضي البلد يفصل في النوازل[3].
- مؤدب الصبيان[4].

(1) الولاية: تعريفها لغة: هي القرب والقيام للغير بالأمر والنصر والاهتمام بالمصالح والحفظ والاتصال. يقال فلان موال لفلان إذا كان مقرباً له، وقائما بأمره، ونصره، ومهتما بمصالحه، وحافظاً لغيبته، ومتصلاً به في مواضع الاتصال. ينظر: (14)السالمي، مشارق أنوار العقول، علق عليه وصححه أحمد بن حمد الخليلي، ط الثانية1398ه/1978م، مطابع العقيدة سلطنة عُمان، ص 340.

تعريفها اصطلاحاً: الاهتمام بمصالح الغير والاتصال به. وأصل الولاية: الموافقة في الدين، فكل من وافقك في الدين فهو وليك. فتجب بالعمل الصالح، لذي الهيئة الحسنة أي تكرير للعمل الصالح ولا تجب إلا لمن علم منه خير، وهو المستحق لها. ينظر: المصدر السابق، ص 338. وأبو حفص عمرو بن جُميع، مقدمة التوحيد، ط/2 1392هـ/1973م، ص91 و92.

(2) البراءة: تعريفها لغة: البعد عن الشيء، و التخلص منه. تعريفها اصطلاحاً: البغض والشتم واللعن للكافر لكفره إنما هو سبب كفره، لا بسبب شيء آخر غير الكفر، فإن ذلك لا يسمى براءة في الشرع، ويدل على وجوبها آيات، ومنها قوله تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ الممتحنة، الآية 4. أنظر: السالمي، مشارق أنوار العقول، ص340.

(3) مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص703

(4) إبراهيم بابا حمو أعزام، غصن البان في تاريخ وارجلان، مخطوط، بمكتبة البعث الإسلامي بورقلة، ص157.

شروط الالتحاق بالحَلَقة

- أن يكون بالغا مسلمًا، ذا أخلاق فاضلة، وعلم بالدين، والفقه والفتوى.
- أن يكون حافظا لكتاب الله تعالى.
- أن يكون متزوجا، لأن الزواج يحصن النفس.
- أن يكون صاحب عمل أو حرفة، فأعضاء العزابة لا يتقاضون أي أجر، إنما عملهم خالص لوجه الله، وكلهم يعتمدون في قوتهم على كد يمينهم.
- متأدبا كيّسا.

المطلب الثاني: مهام العزابة

تقوم هذه الهيئة بكل ما له علاقة بحياة الأمة دينيا واجتماعيا وتعليميا، من الوعظ والإرشاد وقمع العصاة والمتمردين على الشريعة، ومقاومة البدع وتعليم العامة أمر دينهم ودنياهم، ومراقبة سير تجارتهم، ومراقبة السوق وفق ضوابط الحسبة، وقمع الغش وزجر المحتكرين، ومرجع هذه الهيئة في الأمور الخطيرة إلى شيخ العزابة والوكيلين. وللشيخ نوع خاص من السلطة على الجميع إذ هو الذي يعلن حكم البراءة[1] على العاصي والعفو عنه، والولاية لمن يكون موفيًا بدين الله أياً كان، والبراءة من العاصي ومرتكب الكبيرة وغيرها من الأمور المخالفة للدين وقرارات العزابة ونُظُمها، ويتساوى أمام هذا القانون الاجتماعيّ الصارم الشريف والوضيع، ويتمُّ التنسيق مع هيئة نسويّة تسمى "تِمْسيريدينْ" فيما يتعلّق بشؤون المرأة.

أ/ طريقة البراءة المطبقة حاليا في وادي مْزاب هي

عندما يثبت قطعيا بواسطة العدول لدى هيئة العزابة أن أحداً من أفراد المجتمع المْزابي لتلك البلدة، ارتكب كبيرة، كمنع حق، أو تمرد على جماعة، أو طعن في الدين، أو ارتكاب فاحشة ... مما حرم الله، تناديه عشيرته فتنهاه، فإن تاب فذاك

(1) محمد صالح ناصر، حلقة العزابة، ص 29، 30

وإلا رفع أمره إلى العزابة، وبعد صلاة الجماعة يقف شيخ العزابة ليعلن البراءة من المذنب يذكر اسمه والخطأ الذي ارتكبَه، فتقاطعه المدينة كلها حتى أقرب الناس إليه. والمحكوم عليه بهذا يحرم من حقوقه المدنية ما لم يُعف عنه. وكل من عامله في شيء وثبت لدى العزابة ذلك فإنه يلحق به[1].

ب/المهامّ الاقتصادية (السلطة الاقتصادية)

ترعى حَلَقَة العزابة حياة الأسر الاقتصادية، وهي المسؤولة عن توزيع الزكاة، ولا تدفع الزكاة لأحد إلا إذا تحققت أنه مستحق حقا، وأنه مؤد لكل شعائره الدينية من صلاة وطهارة وصوم، كما أنها تشرف على نفقات الزواج وتحديد المهور، والنفقات في الكفالة والحضانة، وتقديم الأمناء على الأيامى واليتامى، بحيث لا يجد الأغنياء منطلقا لحرياتهم في التغالي بالمهور والنفقات على الطبقة الوسطى أو الفقيرة في الأمة، فحرياتهم مقيدة، ولا يجد الفقير الراغب في الزواج تحرجا في تحمل مؤونة زواجه.

كما تشرف هيئة العزابة على الأسواق العامة في مدن مْزاب، ولأعضائها فيها مقاعد خاصة محترمة، تجلس عليها للإشراف على الواردات والسلع المجلوبة واستقبال القوافل من أطراف الصحراء (قديما)، ومراقبة الأسعار، وكان رئيس العزّابة هو الذي يعلن عن افتتاح السوق بواسطة المنادي، بعد التكبير والبسملة والتهليل والصلاة على رسول الله ﷺ، فإن وقع تنازع أو مشادة في المعاملات بالسوق، فإن العزابة يتولون الفصل والحكم في الأمر.

(1) أعزام، غصن البان في تاريخ وارجلان، مخطوط، 157.

المطلب الثالث: مجلس عمي سعيد[1](السلطة التشريعية والقضائية)

المجلس الأعلى للعزّابة في وادي مْزاب بالجزائر، سُمي بمجلس عمّي سعيد أو "أمّي سعيد" لأنّه كان يعقد اجتماعاته في روضة الشيخ عمّي سعيد بن علي الجربي بمدينة غرداية بمزاب.

يضم ممثل مجالس العزّابة في قرى وادي مزاب السبّع ووارجلان، ولذلك يعتبر المجلس الأعلى لإباضية الجزائر، ويُعيّن أكثر أعضائه علما وشجاعةً لرئاسته؛ فيكونَ

(1) هو سعيد بن علي بن يحي بن يدَّر بن سليمان بن عثمان الجربي الخيري (أبو صالح)الشهير ب«عمِّي سعيد» (ت: محرَّم 898هـ / جانفي 1492م) علَم أطبقت شهرته الآفاق، وقد اشتهر باسم عمِّي سعيد. ولد في قرية أجيم، بجزيرة جربة بتونس، وبها نشأ وأخذ العلم عن أبي النجاة يونس بن سعيد بن يحي ابن تعاريت الصدغياني الجربي، وأبي بكر بن عيسى الباروني.

لما تفشَّى الجهل بوادي مْزاب، بعث أهله إلى مقدَّم جماعة الشيخ علي بن حميدة وفداً يطلبون منه إرسال أحد تلامذته ليُحيي العلم والدين بالوادي، فأجابهم إلى ذلك، واختبر أبناءه الثمانية وتلامذته، فنجح ابنه سعيد في الاختبار بجدارة، وكان عمره آنذاك ثماني عشرة سنة، فقدم إلى مْزاب سنة 854هـ / 1450م، مع عالمين آخرين هما: الشيخ بلحاج محمد بن سعيد الذي كان من نصيب بني يسجن، والشيخ دحمان الذي كان من نصيب بنورة، وأما هو فكان من حظِّ غرداية. فبادر من أوَّل يوم إلى الإصلاح الاجتماعي والعلمي والديني، فأحيى وادي مْزاب وكوَّن نهضة علمية، دينية.

من منجزاته ما يلي:

- تأسيس مجلس للفتوى سنة 855هـ / 1450م، يجمع مشايخ وعلماء كلِّ قصور وادي مْزاب، وقد سمِّي باسمه فيما بعد، ولا يزال المجلس قائماً بدوره إلى اليوم. وقد أضيف إليه مشايخ وارجلان في أوائل القرن 14هـ/20م.

توفي بغرداية ودفن في المقبرة المعروفة باسمه؛ وفي روضتها يجتمع عزَّابة القصور السبعة ووارجلان لمناقشة واتخاذ القرارات فيما يجدُّ للناس من أمور دينية واجتماعية وثقافية، واقتصادية، وسياسية.

وفي سنة 1393هـ / 1973م أنشئ بغرداية معهد للعلوم الشرعية باسمه وهو معهد عمِّي سعيد، لإعداد الكفاءات العلمية في علوم الشريعة الإسلامية. أنظر:.جمعية التراث، معجم أعلام، ج3، ص 376.

شيخَ وادي مزاب كلّه، وكان في الماضي، توضع عمامة على رأسه، وهذا التعميم كالتتويج دليل على المشيخة والرئاسة.

ينعقد هذا المجلس في دورات عادية، وقد ينعقد بصفة طارئة إذا دعت الضرورة إلى ذلك.

وترفع إليه القضايا الكبرى كالإفتاء والاجتهاد في القضايا الفقهية والنوازل، ويقوم بوظيفة محكمة الاستئناف، بإصدار أحكام نهائية.

من مهامّ مجلس عمّي سعيد

– اختيار الأقوال الفقهية التي يجب أن يفتي بها العزّابة أو يقضي بها القضاة في المسائل الخلافية.

– سنّ القوانين في دائرة الدين لتُصبح عُرفا اجتماعيا ملزمًا.

– فضُّ المشاكل العامّة التي تحدث في وادي مزاب ووارجلان، والاجتماع على طريق الخروج من الأزمات الطارئة كنائبة نزلت أو عدوٍّ مُغير.

– تولية المشايخ في المساجد للوعظ والإفتاء.

– مراقبة أوقاف الإباضية في الجزائر وخارجها ومتابعتها.

– وضع اللّوائح الداخلية التي تخصُّ سير الحياة العامّة كتحديد المكاييل والموازين إلخ.

في عهد الاستعمار الفرنسي للجزائر، حدّت السلطة كثيرا من مهام هذا المجلس؛ فبعد أن كانت له سلطة فعليّة في المجال الاجتماعي والقضائي والاقتصادي والسياسي، وتوارثها منذ القديم، تقلّصت هذه الوظائف الحيوية، وألغيت كثير

من المهام التي تجعل منه إمامة صغرى و لم يبق له اليوم إلاّ المجال الـديني، وبعـض القضايا الاجتماعية المحلية[1].

المبحث الثالث:
مجلس النساء تِمْسِرِيدِينْ

ومن أهم المجالس المساعدة ما يعرف بمجلس (تِمْسِرِيدِينْ) أو الغاسلات. فكمـا اقتضى النظام الاجتماعي وضع مجالس خاصة بالرجال، فكذلك توجـد مجـالس خاصة بالنساء تتولى شؤون المرأة وترعاها.

إنَّ تنظيم مجالس النساء في قرى وادي مْزاب ظهر مع تأسيس نظـام حلقـات العزابة حسبما يبدو، ولا يعرف تاريخ محدود مضبوط لذلك، لكن المؤكد أنه كان موجودا في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي) وأطلق عليـه بالمحليـة الأمازيغية (**تِمْسِرِيدِينْ**) أي الغاسلات لأنهن يقمن بغسل الأمـوات مـن النسـاء والأطفال فغلبت عليهن هذه الصفة فأطلقت عليهن وعُرفن بها[2].

المطلب الأول: وظيفة تِمْسِرِيدِينْ.

يعتبر هذا المجلس مكملا لمجلس العزابة، فإذا كان هذا الأخير يشرف على مجتمع الرجال وعموم الناس. فإنَّ تِمْسِرِيدِينْ يتكفلن بمسائل النساء الدينية والاجتماعيـة والأخلاقية؛ فهن العالمات الخبيرات بدقائق شؤون النسـاء كـالزواج والطـلاق والطهارة.

(1) مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص750.

(2) محمد ناصر، حلقة العزابة، ص43،44.

أ/ من مهامّ تِمْسرِيدِينْ

1- نشر قيم الفضيلة بواسطة الدروس والوعظ والتوجيه، ومحاربة الآفات الاجتماعية والبدع وأنواع الفساد التي تتناقض مع الشريعة الإسلامية.

2- مراقبة مهر العروس، فيجب أن يكون على الصفة التي اتفق عليها مجلس العزابة.

3- اِفتتاح العرس بالوعظ والإرشاد ومراقبة سيره على الطريقة الإسلامية حتى لا يكون هناك إسراف أو أغانٍ ماجنة, أو لباس غير لائق؛ كأن يكون قصيرا أو مكشوف الظهر أو ضيقا، أو قص الشعر المتشبه بالرجال سواء من أصحاب العرس أو الضيوف. ومن تعدَّت ذلك يحكم عليها بالبراءة.

4-حضور المآتم وتذكير أهل الميّت بالصبر واحتساب الأجر والثواب، وتوعية المعزيات بإلقاء الدروس الدينية المفيدة وقراءة القرآن.

5- الفصل في بعض المشاكل العائلية العويصة، وكل عزابية أو تَمْسِرَتْ (مفرد تِمْسِرِيدِينْ) تتكلف بمشاكل عشيرتها، لأن لكل عشيرة عضوا أو أكثر تمثلها.

وليس لتِمْسِرِيدِينْ إصدار أي قرار أو إعلان عنه حتى يعرض على مجلس العزابة الذي له الكلمة الأخيرة[1]

6- ولمجلس تِمْسِرِيدِينْ مؤتمر (لا إله إلا الله) يعقد في إحدى مدن غرداية، وهو ملتقًى نسويٌّ سنويٌّ تحضره النساء من جميع قرى وادي مْزاب، لتدارس المستجدَّات، واتخاذ القرارات الدينية والاجتماعية. ويهدف إلى توعية النساء بالأخلاق الإسلامية والالتزام بها، ويوصي بغرس هذه القيم في نفوس الناشئة.

(1) أخذت هذه المعلومات من العزابية حفصة بنت الشيخ بيوض، دار تِمْسِردين الغاسلات بالمسجد الكبير القرارة يوم الجمعة 1 جانفي 2001.

ب/ شروط قبول عضوية تِمْسرِيدِينْ في المجلس

1- أن تكون من الورعات الخيرات العالمات العاملات بأحكام الشريعة.

2- أن تكون متقدمة في السن.

3- أن تكون شجاعة لها كلمة مسموعة.

4- يستحسن أن تكون أيما، لكن هذا ليس بشرط مطلق.

المطلب الثاني: مقرّ مجلس العزابة

يكون المقر الرسمي للعزابة في المسجد، حيث تخصص في جانب من جوانب المسجد غرفة للعزابة، ويستحسن أن تكون بعيدة عن مجلس الناس. وهذه الغرفة خاصة بهم لا يسمح لغيرهم الدخول إليها إلا إذا دعوا من قِبل العزّابة لشأن من الشؤون. وجميع المناقشات والمباحثات والمداولات التي تجرى داخله تعتبر سرية.

ولتِمْسرِيدِينْ (الهيئة النسائية) دار خلف المسجد تعرف بدار تِمْسرِيدِينْ أو الغاسلات يحضرن فيها الجماعة، ويسمعن المواعظ مع باقي النساء . ولهن اجتماع خاص وجلسات مغلقة كل مساء يوم الاثنين، فلا يجوز لأحد من النساء أن تجلس أو تحضر معهن.[1]

المطلب الثالث: نموذج من النساء اللواتي برزن في المجتمع من خلال حلقة تمسريدين

مامة بنت سليمان باباز (1863- 1931م)

ولدت مامة في مدينة غرداية، وفيها نشأت وترعرت تحت رعاية أبوين مسلمين صالحين، ودخلت في سن مبكرة إحدى البيوت العلمية النسوية، وفيها حفظت

(1) لقاء مع تمسرت الغاسلة حفصة بنت الشيخ بيوض.

جزءا وافرا من القرآن الكريم، وعددا كبيرا من الأحاديث النبوية الشريفة، وتفقهت في دينها، وأتقنت القراءة

والكتابة، وحفظت عقيدة التوحيد[1]، ودرست الفقه من كتاب الإيضاح والنيل وشرحه، والتفسير من كتاب تيسير التفسير للقطب أطفيش[2]، والنحو، والسيرة النبوية، والتاريخ، وأما الأخلاق وتهذيب النفس فمن كتاب قناطر الخيرات للجيطالي.

أ/ من أعمالها

فتحت هذه المرأة العظيمة بيتها مدرسة لتعليم البنت القرآن والعقيدة وفريضة الصلاة والصوم، إلى جانب دروس الوعظ والإرشاد والتوجيهات التي تقدمها للنساء.

وكانت تقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيثما كانت، ولا تخاف في الله لومة لائم، فهي التي تعلن البراءة والهجران لدى النساء في مقرهن العمومي، وتعلن عن العفو كذلك.

(1) ويسمى هذا كتاب أيضا عقيدة نفوسة، لصاحبه يحي بن الخير أبو زكريا الجناوي.

(2) أطفيش: هو أمحمد بن يوسف بن عيسى أطفيش الشهير بقطب الأئمة ولد سنة 1237هـ/1821م- توفي يوم السبت25 ربيع الآخر 1332هـ/1914م. هو أشهر عالم إباضي بالمغرب الإسلامي في العصر الحديث ألف أكثر من ثلاثمائة مؤلف، ما بين كتاب ورسالة. ألف في التفسير والفقه وأصوله والحديث والسيرة النبوية وفي التوحيد وعلم الكلام وفي الأدب والتاريخ وفي النحو واللغة والبلاغة والخط... لمزيد من المعلومات أنظر، معجم أعلام الإباضية، جمعية التراث، ج 4، ص 835-849.

وتقوم بإصلاح ذات البين لما لها من قوة ذكاء وتجربة وحسن تدبير ورأي السديد في سياسة الأمور، فهذه الخصال جعلتها محلّ استشارة من الأعيان والعزابة والقيّاد والقضاة[1].

وتقوم بالإشراف المباشر على تطبيق أوامر المسجد في الأوساط النسوية بكل حرارة وإخلاص لدى جميع المناسبات المقننة من طرف العزابة فهي حلقة وصل بين العزابة وأعيان البلد والمجتمع النسوي.

وقد تحدّث العديد من الكتّاب والباحثين عن هذه المرأة العظيمة ومواقفها الجريئة وآثارها الإيجابيّة المباركة في المجتمع المزابيّ، ووصفها الشيخ أبو اليقظان بأنها[2] «قمر منير تدور حول فلكه نجوم ثواقب في سماء غرداية، مصدر العلم والنور والمعرفة، قلعة الأمر النهي، رهيبة ترتعد منها فرائص العصاة والفساق وأهل الانحراف، لشدّة شكيمتها وسطوتها المرعبة، لا تأخذها في الله لومة لائم»[3].

ب/من مواقفها

حدث يوما أن ارتفع صوتها ضد الاحتلال الفرنسي في مؤتمر (لا إله إلا الله) بينما كانت تترأس مجلس (تَمْسِردِينْ) حيث دعت المجتمع العام، رجالا ونساء إلى مقاطعة كل ما يتصل بالمستعمر، وعدم التعامل معه، وذلك سنة 1906م.

(1) كروم أحمد وأعوشت بكير، مسلمات صالحات في روضة الإيمان، ص93.

(2) هو إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان ولد يوم 29صفر 1306هـ/ أوائل نوفمبر1888م توفي 26صفر 1393هـ/ 30مارس 1973م من العلماء الأعلام في القرارة بمْزاب، بدأ مشواره العلمي بالكتّاب في القرارة، حيث حفظ القرآن، ثم انتقل إلى معهد قطب الأئمة اطفيش ببني يسجن سنة 1325هـ/1907م ثم دهب بعد ذلك إلى جامع الزيتونة سنة 1330هـ/1912م. كان من الأعضاء الإداريين المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. يعتبر شيخ الصحافة الجزائرية المجاهدة، أصدر ثماني جرائد وطنية إسلامية باللغة العربية. له عدة مؤلفات في الفقه والتراجم... وأغلب مؤلفاته مازلت مخطوطة. أنظر أعلام الإباضية، جمعية التراث للقرارة، ج 2، ص 42- 58.

(3) أبو اليقظان، فذات الإباضية، مخطوط، ص 23.

وفعلا استجاب كل المجتمع، وخاصة النساء، إذ حرمن على أنفسهن جميع المنتجات الفرنسية، وربين أولادهن على ذلك، وبلغن إلى منع أولادهن من الذهاب إلى المدرسة، لأن معلميها فرنسيون، وكان هذا الموقف المشرف من هذه المرأة المؤمنة من المواقف التي رفعتها إلى زعيمات النساء المسلمات في العصر الحديث.

فلما اكتشف المستعمر أن سبب التدهور الاقتصاديّ في المنطقة يعود إلى الإضراب الذي أعلنته هذه المرأة، اعترف بعظمتها، وقرر كتابة تاريخها من خلال البحث الذي قامت به الباحثة البلجيكية (GOICHON) تحت عنوان:
(La vie féminine au M'ZAb)[1].

(1) Goichon، A M: La vie féminine au M zab étude de sociologie Musulmane; pref/de William Marcais; Paris، Librairie P. Geuthner، 1927، 1/221.

خاتمـــة

استطاع نظام حلقة العزابة ضبط المجتمع المْزابي والمحافظة عليه من الانحلال أكثـــر من ألف عام رغم العولمة وانتشار الوسائل التكنولوجية والإعلام والتفتح على العالم الخارجيّ، وذلك بفضل تركيز الحصانة الإيمانية وتطبيق نُظُمِ الحلقة وسِيَرها المتمثلة في الوعظ والتوعية المستمرة وتطبيق حكم الولاية والبراءة.

وتتجلى ثمار جهودها واتّباع تعاليمها وعدم مخالفتها في مظاهر الحياة العامّة، وفي المناسبات الدينية مثل الأعياد والأعراس والجنائز والمآتم... من تضامن ونظام.

وبعد هذا العرض الموجز عن حلقة العزابة نتوصّلُ إلى النتائج الآتية:

✓ اشتقت كلمة العزابة من العزوب وهي الغيبة، والذهاب والعزيب الرُّجـــل يعزب عن أهله وماله، سموا بذلك لانقطـــاعهم إلى الله بالاشـــتغال بـــأمر دينـــه، والانقطاع إلى خدمة المصلحة العامة، ليس معناها العزوبة أي ترك الـــزواج كمـــا حاول الأب المسيحي روبانيكسي إثباته.

✓ جاء هذا النظام بعد سقوط الدولة الرستمية، وهو يمثل الإمامة الصغرى.

✓ اتفق أصحاب السير والطبقات على أن أول مؤسس لحلقة العزابة هو أبـــو عبد الله النفوسي الفرسطائي سنة 409هـــ..

✓ نظام حلقة العزابة خاصٌّ بإباضية المغرب, دون إباضية المشرق.

✓ اندثر هذا النظام من جبل نفوسة في ليبيا وجربة في تونس. ومازال قائما في جنوب الجزائر وبعبارة دقيقة عند إباضية وادي مْزاب ووارجلان.

✓ تطور هذا النظام لدى إباضية الجزائر وأصبح لحلقة العزابة هيئة تهتم بـــأمور النساء تعرف بتِمْسِريدينْ هي مكملة لحلقة الرجال.

✓ هيئة النساء تِمْسرِيدينْ ليس لهن الحرية المطلقة في اتخاذ القرارات فالكلمة الأخيرة تعود لمجلس العزابة.

✓ مجلس عمي سعيد يعقد مرة في سنة يضم جميع عزابة قرى وادي مْزاب ووارجلان.

✓ لهيئة النساء مؤتمر خاص يدعى (لا اله إلا الله) يعقد مرة في السنة في مدينة غرداية وتحضره جميع تِمْسرِيدينْ قرى وادي مْزاب.

أخيرا أختم بالقول:

إن هذا النظام يمثل تنوعا وثراء داخل المجتمع الجزائري مما ينبغي على أهله في وادي مْزاب أن يحافظوا عليه ويعملوا على تطويره بما يواكب متغيرات العصر.

وفيما يخص المجلس النسوي (تِمْسريدِينْ) ينبغي أن تعطى الحرية في اتخاذ القرارات الخاصة بالنساء ولا يكون هناك استئثار من طرف حلقة العزابة.

وأوصي أن يعمَّم هذا النظام في بقية المجتمعات الجزائريّة والإسلاميّة، وأن يدرس ضمن النظم الاجتماعية، ومقررات العلوم الاجتماعية في الجامعات لما له من نتائج إيجابيّة ملموسة في المجتمع المزابي.

ومن يريد المزيد من المعلومات عن هذا النظام فعليه زيارة إحدى قرى وادي مْزاب أو حضور عرس من أعراسها.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم بابا حمو أعزام، **غصن البان في تاريخ وارجلان**، مخطوط، بمكتبة البعث الإسلامي بورقلة.
- أبو اليقظان، فذات الإباضية، مخطوط
- أبو زكريا يحي بن أبي بكر، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم** المعروف بتاريخ أبي زكريا، حققه ووضع هوامشه إسماعيل العربي، الطبعة الثانية 1402هـ/1982م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- البرادي أبو القاسم بن إبراهيم، **الجواهر**، طبعة حجرية طبع على ذمة ملتزمه محمد بن يوسف البارون وشريكه الحاج سليمان بن مسعود المجدلي.
- جمعية التراث، **معجم أعلام الإباضية**، قسم المغرب، 1999م، نشر جمعية التراث القرارة، غرداية، الجزائر.
- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، **طبقات المشايخ بالمغرب**، حققه وقام بطبعه إبراهيم طَلايُ، دون تاريخ الطبع والطبعة، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر.
- علي يحي معمر، **الإباضية في موكب التاريخ**، الناشر، المكتبة وهبة، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الأولى 1384هـ/1964م الحلقة الأولى.
- فرحات الجعبري، **نظام العزَّابة عند الإباضية الوهبية في جربة**، المطبعة العصرية، تونس، 1975.
- كروم أحمد وأعوشت بكير، **مسلمات صالحات في روضة الإيمان**.

- مجموعة من الباحثين، **معجم مصطلحات الإباضية**، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان.
- محمد ناصر، **حلقة العزابة**، سنة 1989/1410، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عُمان
- مقابلة مع: العزابية حفصة بنت الشيخ بيوض، دار العزابيات بالمسجد الكبير القرارة يوم الجمعة 1 جانفي 2001.
- نور الدين السالمي، **مشارق أنوار العقول**، علق عليه وصححه أحمد بن حمد الخليلي، الطبعة الثانية، 1398ه/1978م، مطابع العقيدة، سلطنة عُمان.
- Goichon, A M : La vie feminine au M'zab; Etude de sociologie Musulmane; pref /de William Marcais; Paris, Librairie P. Geuthner, 1927,